(٤) ثقافة

من بحر الموت

يأتي صوت فؤاد الشمالي دافئا وحزينا ، فالشعر يخلي المساحة التي يحتلها لممارسة الموت ، على أبواب الوطن ، والحب يتكثف في تجربة معايشة الالم الكبير الذي عاناه الشهيد وهو يمد يده لتلتقي بألوف الايدي التي حملت السلاح على طريق انتفاضات الجماهير ، في الوقت الذي كان الموت ، يقف فيه على الباب ، حاملا الالم والجوع الى النهاية . ضمن هذا المسار النضالي تصبح حياة المناضل قصيدة لم يكتبها الشعراء بعد . ويصبح شعره مجرد نافذة صغيرة ، نفتحها على بحر مليء بأمواج التخطي . فؤاد الشمالي ، كما تقول مقدمة ديوانه « من بحر الموت » : « كان يدرك ان العصر « رحلة صغيرة والموت بحر » ، ولذلك كان همه الاول ان يغتصب كل لحظة في هذه الرحلة القصيرة ، أن يعيشها شعرا — بقوة الشعر واصالته وابداعه — ويجعلها قصيدة كبيرة تتجدد وتستمر في بحر الموت، في بحر الاخرين » .

تنتمي معظم قصائد الديوان الى أعوام سابقة. فمعظمها كتبت قبل عام ١٩٦٢ وهي بهذا المعنى شهادة تستحق الوقوف . فالقصائد العامية والفصيحة ، تحاول ان تنقل الينا تجربة الحياة مكثفة . لكن الكلمة ، اذا لم نروضها ونتعارك معها طويلا ، لا تستطيع أن تحمل تجربتنا ، بل تشهد على هذه التجربة . وكلمات فؤاد الشمالي لا تعبر عن تجربته . انها شهادة لها . فاللغة الشعرية ، بقيت أسيرة لغة ميشال طراد وان استطاعت في بعض اللحظات ان تشحنها بأفق شعري جديد . فالشعر العامي اللبناني ، الذي تنتمي اليه أكثرية قصائد الديوان ، لا يزال أسير رؤية عبدالله غانم وميشال طراد اللغوية والرؤيوية . واذا كانت قصائد الشمالي ، تساهم هنا ، فانها تستطيع في ومضات قليلة أن تقفز الحاجز وترتمي وسط بحر الموت، حيث تكون تجربة الموت الايجابي النضالي أفقا جديدا . أما القصائد الفصيحة ، فانها تحمل في غالبيتها ارادة الخروج والانتماء . الخروج من العزلة والانتماء الى الواقع . فالقبيلة هي هنا رمز للاخرين ، الذين معهم نصنع المستقبل :

« أمس بعت آخر أغاني
اشتريت بها ساعة من جسد امرأة
وساعة من المطر
وتذكرت قبيلتي وبكيت » .

غير أن القبيلة ، تعيش وجع الولادة ، فلا بد من معانقة هذا الوجع والعيش داخل اطاراته : « لو اسكن نوم العالم ، أثقب قشرة النسيان مرة ، وامضي بلا خوف ... لكن يبدو انه كتب علي أن احفر حتى الوجع » .

قصائد فؤاد الشمالي ، تقف بيننا ، حاملة الاصرار على اكتشاف منابع جديدة للرؤيا . واذا كان الشاعر قد اختار الممارسة ، قد اختار ان يكتشف بيديه وجراحه ودمه . فان شعره يقف ليحمل راية صغيرة في بحر الموت ، الذي يخوضه شعبنا بحثا عن منابع الانهار التي ستغسل تاريخنا المعاصر .

الشعر الفلسطيني والنقد العربي

نوقشت في كلية التربية — الجامعة اللبنانية في بيروت ، الرسالة التي أعدها شوقي بزيع ، لنيل شهادة الكفاءة في اللغة العربية وآدابها. والرسالة بعنوان « شعر المقاومة الفلسطينية في النقد العربي الحديث » وقد أشرف عليها الدكتور ميشال عاصي.

تقدم الرسالة عرضا وافيا ، لاهم التيارات النقدية ، التي واكبت الشعر الفلسطيني بعد الهزيمة . فالفكر النقدي العربي ، أصيب بدهشة بالغة ، عندما بدأ يسمع ، بعد الهزيمة مباشرة ، قصائد للشعراء الفلسطينيين، تحمل عبء الصمود،